قراءة نقدية في التهم الفكرية والعَقَدية الموجهة إلى الإمام ابن حبان «ت ٣٥٤هـ» - جمعاً وتحقيقاً -

أ.د. سردار حمد أمين إبراهيم
محمد سعد الدين مسعود
جامعة صلاح الدين - أربيل
كلية العلوم الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية
Muhammed.gerdi@gmail.com

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 42
ISSN: 2225-9732
March 2026
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد: فقد تناول المبحث الأول من هذا البحث حياة الحافظ ابن حبان، من مولده وتحصيله العلم، ثم ذكر أبرز شيوخه وتلامذته، ثم ذكر مؤلفاته، ووفاته، أما المبحث الثاني فتناول الباحث نماذج من محنه التي أصابها في حياته وتحقيق جميع هذه المحن، من التهم الموجه إليه، منها ما يتعلق بشخصه، كاتهامه بالكذب، والعجب والغرور، ومنها ما يتعلق بعقيدته كاتهامه بالزندقة بسبب قوله: (النبوة العلم والعمل) فقد اتهموه أن قائل ذلك معتقد بأن النبوة مكتسبة، ثم قالوا بأن ابن حبان ينكر الحد لله تعالى، وأن هذا الاعتقاد لا يليق بالله تعالى، ثم اتهموه بسرقة الأحاديث، فقد اتبع الباحث في سرده لهذه التهم المنهج الاستقرائي في ما وصل إليه من مظان ترجمة ابن حبان، ثم حاول الاستدلال على بطلان هذه التهم بكلام الأئمة الذين تلمذوا على ابن حبان، ثم بكلام العلماء الذين جاؤوا من بعده، والذين ذكروا أن هذه التهم بعضها لا أصل له كالعجب والغرور والكذب، وهي محض افتراء سببها الخصومة والمعاصرة، وقع مثلها لكثير من المعاصرين، وبعض هذه التهم يحمل على محمل حسن كقوله «النبوة: العلم والعمل» فقد برره الذهبي والسبكي ودافعوا عن ابن حبان وقالوا بأن لقوله محملا حسنا وليس منافيا للتوحيد، أما اتهامه في عقيدته بأنه ينكر الحد لله تعالى وقد أُخرج من بلده بسبب هذا، فيَتعجَّبُ السبكي منها، إذ كيف يكون مُثبت الحدِّ لله تعالى على صواب ونافيهِ على باطل!

الكلمات الدالة: ابن حبان، العقيدة، التنزيه، الحد.

Abstract:

Praise be to God, and peace and blessings be upon our Master Muhammad and his companions. This study first outlines the life of Al - Hafiz Ibn Hibban—his birth, pursuit of knowledge, teachers, students, works, and death. The second part examines the trials he faced, such as accusations of lying, arrogance, heresy, denying divine attributes, and even theft of hadith. Using the inductive method, the researcher traced these claims through Ibn Hibban's biographies and demonstrated their weakness through the testimony of his students and later scholars. Many charges, like vanity and lying, were shown to be fabrications rooted in rivalry, while others, like his statement "Prophethood is knowledge and action," were interpreted favorably by al - Dhahabi and al - Subki. The claim that he denied God's limits and was expelled was regarded by al - Subki as highly implausible.

Keywords: Ibn Hibban, Tawheed, Tanzeeh, Hadd.

المقدمة

الحمد لله، ثم الحمد لله، ما توفيقنا ولا اعتصامنا ولا ثقتنا إلا بالله، عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم، ونعوذ به من شرور أنفسنها، ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، سيدنا وقائدنا، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد؛

فلما كان في النظر إلى سير الصالحين والعلماء عبرة (لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ) [يوسف: ١١١] فحين النظر إلى سير العلماء نرى كثيرا منهم وقع في محن وابتلاءات كثيرة، منهم من قتل ومنهم من اتهم بالزندقة والكفر، وممن اتهم بالزندقة الإمام الحافظ ابن حبان البستي، فقد قالوا فيه زنديق، وينتصر لأقوال الفلاسفة، ثم قالوا فيه كذاب وسارق للأحاديث، وقال بعضهم: ينكر الحد لله تعالى.

أهمية الموضوع:

من المعلوم أن النظر والتحقق من الأقوال المنسوبة إلى الأئمة من العلوم المهمة، وحين عرض هذه التهم الموجهة إلى ابن حبان يتبين الحالة العلمية والثقافية والعقدية في ذلك القرن، وكذلك يعرض هذا البحث جانبا مهما من حياة ابن حبان ألا وهو الجانب الإنساني، ثم التحقق من صحة ما اتهم به، وكيفية الإجابة عن هذه التهم، يحاول الباحث في هذا البحث ابراز هذا الجانب وجمع هذه التهم وإفراد بحث مستقل لذلك حتى يتسنى للقراء والباحثين الاطلاع عليها ثم تبيين صحتها من عدمها.

مشكلة البحث:

لا تجد باحثا لا يواجه مشاكل أثناء كتابة بحثه، ولكن الإطلاع على نتائج البحث لها أهميتها وأثرها المفرح، ومن هذه الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء كتابة البحث:

١ - صعوبة الحصول على ترجمة من اتهموا ابن حبان بهذه التهم.

٢ - عدم وجود مصدر جامع لهذه التهم والمحن والابتلاءات، إنما ذكروه ذكرا عابرا أثناء ترجمة ابن حبان ولم يخصصوا له أي فصل أو مبحث.

٣ - صعوبة التميز بين ما اتهم به من أجل الفكر والعقيدة، وبين الانتقادات العلمية، وبين

العداوة الشخصية، حيث تتداخل الأسباب، وتختلط العوامل الشخصية بالعوامل العامة.

أهداف البحث:

١ - جمع الأخبار والروايات المتعلقة بالمحن التي تعرض لها ابن حبان في حياته.

٢ - تحقيق الروايات التي وردت حول هذا الموضوع ودراستها سندا ومتنا.

٣ - دراسة الدوافع التي كانت خلف اتهام ابن حبان بهذه التهم.

٤ - تقديم دراسة علمية منهجية تساعد الباحثين المهتمين بالتاريخ الإسلامي وعلم الرجال على فهم أعمق لسيرة الإمام ابن حبان.

حدود الدراسة:

يتحدد نطاق هذا البحث بدراسة حياة ابن حبان ثم بيان التهم التي اتهم بها ابن حبان خلال حياته.

خطة الدراسة:

تم تقسيم هذا البحث إلى مبحثين، المبحث الأول حياة ابن حبان، ولادته ونشأته وتحصيله العلمي، ثم ذكر شيوخه وتلامذته، ثم وفاته، والمبحث الثاني يتناول المحن التي ابتلي بها ابن حبان في حياته، كرمْيه بالزندقة بسبب قوله: النبوة العلم والعمل، وإنكاره الحد لله تعالى، واتهامه بالكذب والعُجب والغرور وسرقة الحديث، ثم ينتهي البحث بالخاتمة وأهم النتائج، ثم التوصيات.

والله أرجو أن أكون موفقا في بيان تبرئة ساحة هذا الإمام، وأن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتي، وحسنات من عاونوني في إنجاز هذا البحث، آمين.

المبحث الأول: حياة ابن حبان

المطلب الأول: اسمه ونسبه، مولده وموطنه

اسمه: هو: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي [١].

و(حِبّان): بكسر الحاء المهملة وتشديد الموحدة، ومدينة بُسْت: هي مدينة من بلاد «كابُل» بين «هراة» و «غزنة [٢]» وهي حسنة كثيرة الخضر والأنهار [٣].

المطلب الثاني: مولده وموطنه

ولد ابن حبان في سنة بضع وسبعين ومائتين [٤] في بُسْت [٥] كما يُنسب إليه.

---

(١) ينظر: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، ٦١٣/١١، و: تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥م، ٢٤٩/٥٢ - ٢٥٤، و: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر – بيروت، ٤١٥/١ - ٤١٩، و: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ٤٦/٧، و: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية – لبنان، ٢٠٠٤، ٣٣٧٩/٣ - ٣٣٨٠، و: عبد الحي بن أحمد ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ٢٨٥/٤، و: عماد الدين اسماعيل ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والإعلان - الجيزة، ط١، ١٩٩٨م، ٢٨١/١٥، و: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ١٣١/٣، و: أبوبكر أحمد بن محمد ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية – هند، ط١، ، ١٠٥/١ – ١٠٦، و: أبوعبد الله محمد بن أحمد الدمشقي الصالحي، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البيوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٢، ١٩٩٦م، ١١٣/٣ - ١١٥، و: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠٠م، ٢٣٦/٢.

(٢) مدن تقع ضمن الحدود الجغرافية لدولة أفغانستان.

(٣) أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٢٦٨/٢.

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٣٧٩/٣.

(٥) بست، بالفتح: واد بأرض اربل وبالضم د بسجستان {مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ص: ١٧٤}.

ويؤيد هذا ما نقله الذهبي في (العبر) وهو يتحدث عن وفاة ابن حبان [١] في سنة ٣٥٤هـ: (وتوفي في شوال بها، وهو في عُشر الثمانين).

المطلب الثالث: مسيرته العلمية

لم أجد فيما بين يدي من مصادر لترجمة ابن حبان من يتحدث عن بدايته في طلب العلم، وكيفية توجهه إليه، وهل كان ذلك باعتناء والده، أو أحد أقاربه، أو أحد أصحاب أسرته؟ بيدَ أن قول ابن حجر: (طلب العلم على رأس الثلاث مئة [٢])، يشير إلى أنه طلبه بنفسه [٣].

وكان كثير الرحلات في طلب العلم [٤] فشملت رحلته الكثير من البلاد الإسلامية، منها خراسان والجزيرة ومصر والشام والعراق [٥]، والري وسجتان كثيرا من بلاد ما وراء النهر، وتستر وأهواز والبصرة وواسط وسنجار وبغداد وكوفة ومكة، وفي غيرها من البلاد الإسلامية [٦]، وتقلد في بعضها مناصب مثل منصب القضاء التي وليها في سمرقند [٧].

وبهذا يمكننا أن نقول أن ابن حبان لم يترُك حاضرة من حواضر البلاد الإسلامية إلا رحل إليها، حتى يأخذ على مشايخها ويتعلم على يديهم [٨].

(١) سنتحدث عن تاريخ وفاته فيما بعد إن شاء الله.
(٢) ابن حجر، لسان الميزان، ٤٦/٧.
(٣) ينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ١٠/١.
(٤) ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، ١٠٦/١.
(٥) ينظر: صحيح ابن حبان بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٠/١ والأعلام، ٧٨/٦ ومناهج المحدثين، د. سعد بن عبد الله آل حميد ص: ١٤٦، ط١، ١٩٩٩م، دار علوم السنة، الرياض - السعودية.
(٦) عدد ياقوت الحموي بعض البلاد التي رحل إليها ابن حِبان في طلب الحديث، فبلغ أربعة وأربعين مدينة، مع ذكر كل شيخ ممن أخذ عنهم في كل مدينة من هذه المدن، ثم قال: جماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم! {ينظر: ياقوت الحموي، ٤١٥/١ - ٤١٦}.
(٧) ينظر: ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٢٥٢/٢٩.
(٨) ينظر: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٢٣٩/١.

المطلب الرابع: أساتذته

لابن حبان أساتذة كثيرون، يُصعب حصرهم، ويبلغ عددهم أكثر من ألفي شيخ كما صرح هو في بداية صحيحه إذ قال: ولعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ من إسبيجاب [١] إلى الإسكندرية [٢].

وإذا أردنا أن نورد أسماء كل شيخ من شيوخ ابن حبان لاستصعب ذلك علينا، بل استحال، وذلك لأنه – رحمه الله – لم يذكر أسماء كل شيوخه، وكذلك من ترجم له من أصحاب كتب الطبقات والتاريخ، حتى قال السمعاني بأنه سَمع من عالم لا يحصون [٣].

لكني أكتب بعضا من أشهر من أخذ عنهم وروى، مع ترجمة يسيرة لهم، سواء في رواية الحديث أوفي علوم أخرى، فمن أشهر من أخذ عنهم:

١. أحمد بن شعيب النسائي: أحمد بن شعيب بن علي أبو عبد الرحمن النسائي، صاحب (السنن) الإمام في عصره، كان مولده في سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومئتين تقريبا، ومات سنة ثلاث وثلاث مئة [٤].

٢. ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح أبوبكر السلمي النيسابوري الحافظ إمام الأئمة، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتوفي في ذي القعدة سنة احدى عشرة وثلاث مئة [٥].

٣. أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى بن الحارث التميمي، أبو يعلى الموصلي، الحافظ، صاحب المسند، توفي وله سبع وتسعون سنة [٦].

---

(١) إسبيجاب: قال ياقوت: اسفيجاب: بالفتح ثم السكون وكسر الفاء وياء ساكنة وجيم وألف وباء موحدة اسم بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان ولها ولاية واسعة وقرى كالمدن كثيرة {معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، ١٧٩/١، دار الفكر – بيروت}.

(٢) صحيح ابن حبان، ١٥٢/١. والإسكندرية: مدينة بمصر {ينظر معجم البلدان، ١٢١/١}، وقد أحصى الشيخ شريف بن صالح التشادي أسماء أربع مئة وتسعة وثانين شيخا منهم في كتابه: ري الظمآن بتراجم شيوخ ابن حبان.

(٣) السمعاني، الأنساب، ٣٤٩/١.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ٧٩٢/١٤ - ٧٩٦، والعبر في خبر من غبر، الإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، ٤٤٤/١، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(٥) طبقات الشافعية، ابن القاضي شهبة، ٦١/١ - ٦٣.

(٦) ينظر: الذهبي، العبر، ٤٥١/١ - ٤٥٢، و: ابن كثير، البداية والنهاية، ٨١٢/١٤ - ٨١٣.

٤. الحسن بن سفيان: الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النسوي، أبو العباس: مصنف (المسند) في الحديث، كان محدث خراسان في عصره، مقدما في الفقه والادب [١].

المطلب الخامس: تلامذته

بما أنه كان لابن حبان مكانته العلمية الكبيرة، وهو من أكبر علماء عصره، فقد قصد إليه القاصدون من كل مكان، حتى بلغ طلابه مبلغا لا يمكن إحصاؤه [٢]، وهذه أسماء أشهر طلابه مع ترجمة موجزة لهم:

١ - الدار قطني: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود، أبو الحسن الدار قطني، روى عن ابن حبان إجازة [٣]، الحافظ الكبير، له كتاب (السنن الكبير) المشهور، وكتاب العلل، و (الأفراد) وله غير ذلك من المصنفات، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة [٤].

٢ - الحاكم النيسابوري: صاحب المستدرك، وكان المستملي عليه [٥]، محمد بن عبد الله بن محمد ابن حمدونه، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، من كتبه: (المستدرك على الصحيحين) و(علوم الحديث) و(الإكليل) و(تاريخ نيسابور)، توفي سنة خمس وأربعمائة [٦].

٣ - ابن مندة الأصفهاني: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي الأصبهاني، صاحب التصانيف، وبقي في الرحلة بضعاً وثلاثين سنة، قال شيخ الإسلام الأنصاري [٧]: أبو عبد الله بن مندة، سيّد أهل زمانه [٨].

---

(١) ينظر: الزركلي، الأعلام، ١٩٢/١.

(٢) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٧/١.

(٣) عز الدين ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر – بيروت، ١٩٨٠م، ٣٣٥/١.

(٤) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٥٩/١٥ – ٤٦٢.

(٥) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٧/١، قال ابن الصلاح: واستملى عليه الحاكم بنيسابور سنة أربع وثلاثين {ينظر: ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ١١٧/١}.

(٦) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٦٠/١٥ – ٥٦٢، و: ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف، ص: ٥١، وله ترجمة في: الذهبي، العبر ٢١٠/٢ - ٢١١.

(٧) شيخ الإسلام الأنصاري: عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر، أبو اسماعيل الأنصاري الهروي، روى الحديث وصنف، وكان كثير السهر بالليل، وكانت وفاته بهراة في ذي الحجة عن ست وثمانين سنة {ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٢/١٦}.

(٨) ينظر: الذهبي، العبر، ١٨٧/٢ - ١٨٨.

٤ - أبو عبد الله الغنجار: الحافظ، صاحب تاريخ بخارى، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل، أبو عبد الله البخاري، روى عن خلف الخيام وطبقته [١].

المطلب السادس: ثناء العلماء عليه

قد ذكر كثير من العلماء ابن حبان في كتبهم التي صنفوها في تراجم الرجال والوفيات والطبقات، فقد وصفوه بأوصاف تليق به، وذكروه في كتب طبقات المحدثين [٢] والفقهاء [٣] والنحاة أيضا [٤]، لأنه كان مشاركا في كل هذه العلوم، حتى الطب والنجوم والكلام [٥].

فقد ذكره الإمام الذهبي في كتبه ونعته بأوصاف عديدة منها: الحافظ العلامة [٦]، والحبر العلامة، و: كان من أوعية العلم، في الحديث والفقه واللغة والوعظ وغير ذلك [٧]، ثم ذكره في طبقات المحدثين ووثقه [٨].

وقال الإمام الخطيب البغدادي: كان ابن حبان ثقة نبيلا فهما [٩].

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: (كان من أئمة زمانه. . . وكان عارفا بالطب والنجوم والكلام والفقه، رأسا في معرفة الحديث) إلى أن قال: (وابن حبان قد كان صاحب فنون، وذكاء مفرط، وحفظ واسع إلى الغاية رحمه الله [١٠]).

(١) ينظر: المصدر السابق، ٢٢١/٢.
(٢) ينظر: ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ١١٣/٣.
(٣) ينظر: ابن شهبة، طبقات الشافعية، ١٠٥/١ – ١٠٦، و: ابن صلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ٣٥٥/١، و: عماد الدين ابن كثير الدمشقي، طبقات الفقهاء الشافعيين، ٢٦١/١.
(٤) ينظر: جمال الدين علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ١٢٢/٣.
(٥) الذهبي، العبر، ٩٤/٢.
(٦) شمس الدين الذهبي، تأريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ١١٢/٢٦، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
(٧) الذهبي، العبر، ٩٤/٢.
(٨) الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: د. محمد زينح محمد غرب، ص: ١٦٩، دار الصحوة للنشر، ط١، ١٩٨٧م.
(٩) سير أعلام النبلاء، ٣٣٧٩/٣.
(١٠) لسان الميزان، ٤٦/٧ - ٥٠.

ووصفه النووي فقال: القاضي، الحافظ، الإمام [١]. - وقال ابن كثير الدمشقي: (أحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين [٢]). - وقال فيه ابن عساكر: أحد الأئمة الرّحالين، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار عالما بالطب والنجوم وفنون، فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته، وكان ثقة ثبتا فاضلا فهما [٣]. - وقال فيه ياقوت: الامام العلامة الفاضل المتقن، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بحرا في العلوم، وصارت تصانيفه عدة لأصحاب الحديث [٤].

المطلب السابع: مذهبه

أولا: مذهبه الفقهي:

لا شك أن لابن حبان مكانة فقهية عالية، وكان متضلعا في الفقه، عارفا بأصوله، حتى قُلِّد منصب القضاء في سمرقند وغيره، أما من حيث إنه التزم مذهبا فقيا فقد ترجم له كل من وجدته ممّن ألّف في طبقات الفقهاء الشافعية، كابن الصلاح [٥] والنووي [٦] وابن القاضي شهبة [٧] وابن كثير [٨] والسبكي [٩] والإسنوي [١٠]، ولم أجد فيمن ألّف في طبقات الفقهاء في المذاهب الأخرى من ترجم له.

(١) النووي، طبقات الفقهاء الشافعية، ص: ٣٠.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨١/١٥.
(٣) ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٢٥١/٥٢ - ٥٢٥.
(٤) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٥/١.
(٥) ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ١١٥/١.
(٦) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص: ٣٠.
(٧) ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، ١٣١/١.
(٨) ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص: ١٩٠.
(٩) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٣١/٣.
(١٠) جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٠هـ، ٤١٨/١ - ٤١٩.

ولهذا تجد بعض المتأخرين حينما يترجمون له ينسبونه صراحة إلى الشافعي [١].

ثم اذا نظرنا في صحيحه وجدنا أنه يعظم الشافعي غاية تعظيم، وإن خالف مذهبه في بعض الفروع بحسب ما وصل إليه اجتهاده في استنباطه الأحكام من الأحاديث، فهو يعتذر عن ذلك بأن الشافعي قائل بأن الحديث إذا صح فهو مذهبه [٢].

قال عقبَ مسألة خالف فيها الشافعي: «ولا يتوهمنَّ متوهمٌ أن الجمع بين الأخبار على حسب ما جمعنا بينها في هذا النوع من أنواع السنن يضاد قول الشافعي رحمة الله ورضوانه عليه...[٣]».

ثانيا: مذهبه العقدي:

المطالع لصحيح ابن حبان يجد أنه ينفي جميع الصفات التي توهم النقص في حق الباري تعالى، فيترجم لبابٍ بعنوان: «ذكر الخبر الدال على أن كل صفة إذا وجدت في المخلوقين كان لهم بها النقص، غير جائز إضافة مثلها إلى الباري جل وعلا [٤]».

وهذا من أصول مذهب أهل السنة والجماعة أن صفات النقص لا يجوز نسبتها بحال إلى الله عز وجل [٥]، وكذلك ينزه الله تعالى عن الحركة والانتقال والتكلم بآلة [٦].

أما من حيث تأويل بعض الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة الموهمة لتشبيه الله تعالى بالمخلوقين، فابن حبان يرى أن هذه الألفاظ لا يرد بها الظاهر، ولا وجود لحقيقتها، حيث يقول في ترجمة باب من صحيحه: ذكر الخبر الدالِّ على أن هذه الأخبار أطلقت بألفاظ التمثيل والتشبيه على حسب ما يتعارفه الناسُ بينهم دون كيفيتها أو وجود حقائقها [٧].

---

(١) ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا – إستانبول، ٢٠١٠م، ١١٧/٣، و: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٧٣/٩.

(٢) ينظر: ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٤٩٧/٥.

(٣) ينظر: نفس المصدر السابق، ٤٩٧/٥، و: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٣٢٠/١.

(٤) ينظر: ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٤٧٥/٥، و: عبد العزيز بن عبدالله المبدل، آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها، رسالة قدمت إلى شعبة العقيدة في قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، السعودية، ونشرت ككتاب سنة ١٤١٧هـ، ص: ٧٠.

(٥) قال ابن حجر: والإيمان بالله هو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص {ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، المكتبة السلفية – مصر، ط١، ١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ، ١١٧/١}.

(٦) ينظر: ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٤٤٦/٥.

(٧) نفس المصدر السابق، ٤٤١/٥.

ولهذا نجد ابن دقيق العيد يقول: وكان أبو حاتم من المنزهة المؤوِّلة، متحفظا في الكلام على الأحاديث المشكلة، نافيا عن أهل الحديث عقد التشبيه، ناطقا في هذا الفن بملء فيه، فربما تسبب بذلك أو بعضه إلى الشناعة من مخالفيه (١).

وهذا الذي ذكره ابن دقيق نجده جليا في صحيحه، حيث نجده يؤول الحديث الوارد في أن الله عز وجل يضع قدمه في جهنم، يقول ابن حبان: هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عصي الله عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعا من الكفار والأمكنة في النار، فتمتلئ «فتقول: قط قط»، تريد: حسبي حسبي، لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع، قال الله جل وعلا: {لهم قدم صدق عند ربهم} [يونس: ٢]، يريد: موضع صدق، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار، جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه (٢).

ثم نجده يؤوّل الساق بالشدة (٣)، والضحك بضحك الملائكة (٤)، وتقرب الله من العبد بالتقرب بالرأفة والرحمة (٥)، وغير ذلك من المواطن التي أوّل فيها ظاهر هذه النصوص.

أما في موضوع رؤيته جل وعلا في الآخرة فإن ابن حبان يرى أن الله تعالى يُرى في الآخرة، وأن هذا هو (الحسنى) التي وعد الله تعالى عباده بها (٦)، ثم يثبت عذاب القبر (٧) والشفاعة (٨).

وفي موضوع الصحابة واعتبار عدالتهم يرى ابن حبان كما ترى أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول فيما يروونه عن النبي ﷺ، حيث يقول: وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله ﷺ ما رووها عن النبي ﷺ وإن لم يبينوا السماع في كل ما رووا وبيقين نعلم أن أحدهم ربما سمع الخبر عن صحابي آخر ورواه عن النبي ﷺ من غير ذكر ذلك الذي سمعه منه لأنهم رضي الله تعالى عنهم

(١) ابن دقيق العيد، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، ١/ ٤٨٢.
(٢) ينظر: ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٤٥٦/٥.
(٣) ينظر: نفس المصدر السابق، ٢١٥/٦.
(٤) ينظر: نفس المصدر السابق، ٣١٩/١، و: عبد العزيز بن عبدالله المبدل، آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها، ص: ١١٨.
(٥) ينظر: ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ١٦٥/١.
(٦) ينظر: نفس المصدر السابق، ٤٣٥/٤، و: عبد العزيز بن عبدالله المبدل، آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها، ص: ١٣٧.
(٧) ينظر: ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ٣٩٤/٤.
(٨) ينظر: نفس المصدر السابق، ٣٧٣/١٤.

أجمعين كلهم أئمة سادة قادة عدول نزه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول [١].

مما عرضناه من الأمثلة يتبين أن ابن حبان أحد أئمة أهل السنة الأشاعرة، ويتبنى عقيدتهم في مذهبهم، ثم يعرض هذه العقيدة في صحيحه من خلال تبوياته واستنباطاته في فهم الأحاديث والآيات القرآنية.

المطلب الثامن: وفاته

وبعد حياة جهاد متواصل، قضى كلها في الأسفار، وملأ ساعاتها بالطلب والسماع والإملاء، وعمر أيامها بالتأليف والتصنيف والتعب، وتعرض فيها لمِحن وأحداث واتهامات، كتب الله له الرجوع إلى مسقط رأسه بُست، ليتبقى فيها بقية عمره، ويوافيه أجله وهو بين أهله وأصحابه [٢]. وذلك ليلة الجمعة لثماني ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤ هـ [٣]، فدفن بعد صلاة الجمعة قرب داره في الصفة التي ابتناها [٤]، وله جرايات يستنفقونها، وأبقى خلفه خزانة كتبه في يدي وصيٍّ سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها، من غير أن يخرجها منها [٥]، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

المبحث الثاني: المحن التي ابتلي بها ابن حبان في حياته.

المطلب الأول: قول الإمام: «النبوةُ: العلم والعمل».

قد أنكِر على ابن حبان قوله «النبوة: العلم والعمل» فحكموا عليه بالزندقة بسبب هذا القول، وهُجر، وكُتب فيه إلى الخليفة، فكَتبَ بقتله، وقيل خرج إلى سمرقند بسبب هذه المحنة [٦].

(١) ينظر: نفس المصدر السابق، ١٦١/١ - ١٦٢.

(٢) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٥١/٥٢، و: صحيح ابن حبان بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ٢٨/١.

(٣) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨١/١٥، و: الذهبي، العبر، ٩٤/٢ و: عز الدين ابن الأثير الجزري، الكامل في التأريخ، تحقيق: خليل بن مأمون الشيحا، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ٢٥/٧، و: السمعاني، الأنساب، ٣٤٩/١، وينظر: اليافعي، مرآة الجنان، ٢٦٨/٢، و: ابن ماكولا، الإكمال، ٣١٧/٢، وفي تأريخ وفاته خلاف يسير، حيث نقل ابن عساكر بسنده عن أبي يعلى وغيره أنه مات بعد الستين والثلاثمائة. {ينظر: ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٢٥٢/٥٢}.

(٤) ينظر: ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٢٥٤/٥٢ و: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨١/١٥، و: الذهبي، العبر، ٩٤/٢.

(٥) ينظر: ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٢٥٤/٥٢

(٦) ينظر: ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٢٥٩/٥٢.

وراوي هذه الحكاية هو «عبد الصمد بن محمد بن محمد بن صالح» عن أبيه [١].

ولم أجد فيما بين يديّ من مصادر أي ترجمة ولو يسرة لعبد الصمد هذا، سوى أن أبي إسماعيل الهروي يروي عنه وهو عن أبيه في «ذم الكلام وأهله» وهذه الروايات تدل على أن أباه «محمد بن محمد» كان تلميذا لابن حبان [٢].

نستخلص من هذا أن هذه الرواية ضعيفة سندا، لأن عبد الصمد وأباه مجهولا العين والحال، فلا أحد ترجم لهما بترجمة، حتى نعرف من خلالها رأي أهل الجرح والتعديل فيهما، فلا يُقبل منهما هذه الرواية أصلا[٣]، لأن أن أحد أسباب الطعن في الراوي، هي الجهالة كما بينه ابن حجر، بأن لا يُعرف في الراوي جرح أو تعديل معيّن[٤].

ثم الراوي لهذه الحكاية لا يحدد من الذي كان ينكر على ابن حبان، هل كان عالما؟ أو كان أحداً من عوام الناس؟ يعني الراوي مجهول والمروي عنه مجهول [٥].

ولو نظرنا إلى صحيح ابن حبان لوجدناه يروي هذا الحديث: «ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر، كلتاهما عصمني الله منهما [٦]... الحديث.

وهذا الحديث إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن ابن حبان لم يكن يؤمن قطعا بقضية اكتساب النبوة، ولا يمكن له أن يروي هذا الحديث ويصدق دعوى اكتساب النبوة، وربما تفوه بهذه الكلمة وأراد شرحها، لكن لَقطهُ الحُسّاد ثم راحوا يشتكون عليه ويبثونها بين الناس [٧].

والحكاية حكاية غريبة كما يقول الذهبي، وابن حبان فمن كبار الأئمة، ولَسْنا ندعي فيه العصمة من الخطأ [٨]، لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق

(١) ينظر: نفس المصدر السابق، ٢٥٣/٥٢.

(٢) ينظر: أبو إسماعيل الهروي، ذم الكلام وأهله، المحقق: عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ، ١٩٩٦ - ٢٠٠٢م، الأحاديث: رقم ٦٨٢ و٧١٨ و٨٢١، وغيرها، و: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٤٢٠/١.

(٣) ينظر: عبد العزيز بن عبدالله المبدل، آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها، ص: ١٩١.

(٤) ينظر: ابن حجر، نزهة النظر، ص: ١١٩.

(٥) ينظر: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٤٢٠/١.

(٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه قبل أن يوحى إليه، ١٢/٤، رقم الحديث: ٢٩٨٦.

(٧) ينظر: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٤٢٣/١.

(٨) هذا الذي حكاه الذهبي في أنه لا يدعي في ابن حبان العصمة هو الصحيح الذي عمل به الذهبي نفسه، إذ عدد

الفيلسوف، فإطلاق المسلم لها لا ينبغي، لكن يُعتذر عنه، فنقول: لم يرد حصر المبتدأ في الخبر، ونظير ذلك قوله ﷺ : «الحج عرفة [1]» ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجا، بل بقي عليه فروضٌ وواجبات، وإنما ذكر مهم الحج.

نعم النبوة موهبة من الله تعالى لمن اصطفاه من أولي العلم والعمل لا حيلة للبشر في اكتسابها أبدا، وبها يتولد العلم النافع والعمل الصالح [2].

وكذا هذا ذكر مهمَّ النُبوّةِ، إذ من أكمل صفات النبي ﷺ كمالُ العلم والعمل، فلا يكون أحد نبيا إلا بوجودهما، وليس كل من برز فيهما نبيا، لأن النبوة موهبة من الحق تعالى، لا حيلة للعبد في اكتسابها، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح [3].

وأما الفيلسوف فيقول: النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل، فهذا كفر، ولا يريده أبو حاتم أصلا، وحاشاه [4].

أما ابن حجر فيدافع عن ابن حبان، فيقول أن لقوله هذا محملا سائغا إن كان يعني به عماد النبوة قائمة على العلم والعمل، لأن الله تعالى لا يبعث أحدا إلا أن يكون متصفا بهذين النعتين، لأن العلم من مستلزمات النبوة، فيكون النبي عالما بالوحي، ويلزم من وجود العلم الإلهي العمل به «فصدق بهذا الاعتبار قوله النبوة العلم اللدني والعمل المقرب إلى الله فالنبوة إذا تفسر بوجود هذين الوصفين الكاملين». ثم يقول بأن اطلاق هذا مما لا نستسيغه إلا بقرينة، كقوله ﷺ (الحج عرفة)، وإن كان عني بذلك الإطلاق الحصر، أي: ليس النبوة إلا العلم

أشياء وهم فيه ابن حبان في استنباطه الأحكام في الأحاديث، وفي بعض الأحكام الحديثية التي عدها هو، ثم اعتبر به ابن حبان واهما في هذه الأحكام، وسواء اعتبرنا ابن حبان مصيبا أو مخطئا، فكلام الذهبي في أن ابن حبان ليس معصوما قد حققه الذهبي في كلامه هذا، قال الذهبي بعد أن عدد هذه الأمور التي اعتبر ابن حبان مخطئا فيها: فوهم أبو حاتم كما ترى في أشياء. {ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٩٨ - ١٠١}.

(١) جزء من حديث رواه النسائي، تمامه: عن عبد الرحمن بن يعمر قال: شهدت رسول الله ﷺ فأتاه ناس فسألوه عن الحج فقال رسول الله ﷺ: (الحج عرفة فمن أدركَ ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجّه) رواه النسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب: فرض الوقوف بعرفة، ٥/٢٨٢، رقم الحديث: ٣٠١٦. {سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة ببيروت الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ}.

(٢) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٩٥ - ٩٦.

(٣) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٩٥ - ٩٦.

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٣٣٨٠، و: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣/٩٠.

والعمل، فهي زندقة [١].

أما ابن كثير فكأنه يشك في صحة الرواية عن ابن حبان، يقول في البداية والنهاية: (وقد حاول بعضهم الكلام فيه من جهة معتقده، ونسبه إلى القول بأن النبوة مكتسبة، وهي نزعة فلسفية، والله أعلم بصحتها عنه [٢]).

ثم إن ابن حبان معروفٌ عنه بأنه يُعظم النبوة، وما خدمته للحديث وعلومه إلا أحد آثار هذا التعظيم «ولعله أراد أن المقصود من إيحاء الله عز وجل إلى النبي ﷺ أن يعلم هو ويعمل، ثم يبين للناس فيعلموا ويعملوا [٣]».

ثم إن تهمة اكتساب النبوة تهمة عظيمة، فلو كان صحيحا لتناقله العلماء وردوا على ابن حبان فيها، كما يردون على أهل الأهواء والبدع، بل نجد عكس ذلك من ثناء العلماء عليه وتناقل كتبه واستخلاص الأحكام الشرعية منها [٤].

فمما بيناه يتبين أن هذه الرواية إن لم تكن موضوعة فضعيفة، وإن كانت صحيحة فقد اعتذر العلماء لابن حبان فيها، وبينوا مقصده من هذا الإطلاق.

المطلب الثاني: إنكار الإمام «الحد» لله تعالى

الحد لغة: الفصل، الحاجز بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر، أو: لئلّا يتعدى أحدهما على الآخر، وجمعه حدود [٥].

واصطلاحا: قيل: منتهى كل شيء: حده [٦].

(١) ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ١١٣/٥ - ١١٤.

(٢) ابن حجر، البداية والنهاية، ٢٨١/١٥.

(٣) عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق: علي بن محمد العمران ومحمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد - مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ، ٧٣٢/١٠.

(٤) ينظر: عبد العزيز المبدل، آراء ابن حبان الاعتقادية ومنهجه في عرضها، ص: ٢٠٢.

(٥) محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٩٦٥ - ٢٠٠١م، ٦/٨.

(٦) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط١، ١٩٩٩م، ١٢٤٥/٣.

فبهذا المعنى يكون الحدود مخلوقة ويستحيل توصيف الله تعالى به، يقول الطحاوي: «وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات [١]».

وقد أنكر الإمام «الحد» لله تعالى، فقال في مقدمة كتابه «الثقات»: الحمد لله الذي ليس له حد محدود [٢]، وأُنكر ذلك عليه من قبل المتعالمين عليه.

وقد نقل السبكي قصة التهمة التي اتهم بها ابن حبان وقولهم بأنهم أخرجوا ابن حبان على أنه أنكر «الحد» لله، ونقل عن يحيى بن عمار قوله: (قدم علينا فأنكر الحد لله، فأخرجناه من سجستان [٣]).

ثم قال الإمام السُبكي: انظر ما أجهل هذا الجارح! وليت شعري من المجروح، مثبت الحد لله، أو نافيه [٤]؟ أما العلائي فينقل السبكيُّ عنه كلاما قريبا من كلامه هو، يقول: يا لله العجب من أحق بالإخراج والتبديع وقلة الدين [٥]؟

أما ابن حجر فقد رجّح السكوت في هذه المسألة على الكلامِ فيه، وزاد على كلام الذهبي قوله: إنكاره الحد واثباتكم للحد نوع من فضول الكلام والسكوتُ عن الطرفين أولى إذ لم يأت نص بنفي ذلك ولا إثباته والله تعالى ليس كمثله شيء فمن أثبته قال له خصمه جعلت لله حدا برأيك ولا نص معك بالحد والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال هوله للنافي ساويت ربك بالشيء المعدوم إذ المعدوم لا حد له فمن نزه الله وسكت سلم وتابع السلف [٦].

ثم دافع ابن حجر عن هذا وقال الحق في هذا مع ابن حبان، لأننا لا نسلم أن الذي تحقق وجوده ونفينا عنه الحد ساويناه بالمعدوم، لأنه تحقق عندنا وجوده [٧].

أما الإمام الذهبي، فقد وصف الخوض في مسألة إثبات «الحد» لله أو نفي ذلك بدعة مما ليس للمؤمن الخوض فيها.

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٥، ص١٥.
(٢) ابن حبان، الثقات، ١/١.
(٣) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٥٣/٥٢، و: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٣٢/٣.
(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٣٢/٣.
(٥) السُّبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٣٣/٣.
(٦) ابن حجر، لسان الميزان، ٤٧/٧.
(٧) ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ١١٤/٥.

قال: كلاهما مخطئ [١]، ثم قال في موضع آخر: إنكاركم عليه بدعة أيضا، والخوض في ذلك مما لم يأذن به الله، ولا أتى نص بإثبات ذلك ولا بنفيه. و «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه [٢]» وتعالى الله أن يحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو علمه رسله بالمعنى الذي أراد بلا مثل ولا كيف {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [٣] {الشورى: ١١}.

وهذا كلام نفيس قيّم من إمام حافظ، فلا ينبغي على المسلم الخوض في مسائل الاعتقاد ما لم يأت به نص قطعي.

ومما يجدر الإشارة إليه في ختام هذه المسألة أن يحيى بن عمار الذي قال «نحن أخرجناهُ من سجستان» قد ذكره الذهبي وأشار إلى أنه كان يبالغُ في اثبات الصفات لله تعالى بحيث يتجاوز فيه طريقة السلف، وأنه كان يحظى بمكانة عالية في تلك الديار، فربما هذا كان من أسباب هذا التعصب على ابن حبان والله أعلم [٤].

هذان المسألتان هما المسألتان الأساسيتان اللتان اتهمتا بها ابنُ حبانَ، ومن بحثَ في كتب التراجم وجد مسائل أخرى اتهم بها، منها:

المطلب الثالث: رميه بالكذب وسرقة الحديث

أولا: رميه بالكذب:

ذكر بعض المترجمين لابن حبان وهو الحافظ البيكندي [٥] ابن حبان في قائمة شيوخه الذين اتهِموا بالكذب، وكان قد ذكر فيهم ألف شيخ في باب الكذابين، مع أنه تتلمذ على يديه، ثم قال بأن شيخه «أبو حاتم سهل ابن السري الحافظ» نبهه إلى عدم الكتابة عن ابن حبان بسبب

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨، ٣/٩٠.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في صفات المؤمنين، ١/٤٦٦، رقم الحديث: ٢٢٩، قال الشيخ شيب الأرنؤوط: (حديث صحيح حسن لغيره، اسناده ضعيف لضعف «قرة») {صحيح ابن حبان بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ١/٢٦٦}.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٣٣٨٠.

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧/٤٨٢.

(٥) البيكندي: أحمد بن علي ابن عمرو بن أحمد بن عَنبر، الحافظ أبو الفضل السليماني البخاري البيكندي، قال الحاكم: كان يحفظ الحديث، ورحل فيه، وكان من الفقهاء الزهاد، قال: ورأيته ببخارى على رسمه في طلب العلم، ومجالسة الصالحين، ولزوم الجماعة {ينظر: ابن صلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ١/٣٥٥}.

كونه كذابا! ثم ذكر ذلك عن السليماني الحافظ أنه نبهه أيضا إلى عدم الكتابة عن ابن حبان بسبب كونه جائه وكتبَ مصنّفاته فذهب بها إلى سجستان وتقلد بسببها مناصب.

بل نُقل عن السليماني قوله: «رأيتُ وجهه وجه الكذابين، وكلامه كلام الكذابين [١]».

أما هذه التهمة التي اتهمت بها ابن حبان فيشهد لبطلانها كلام الأئمة فيه، بل دافع عنه الأئمة الذين جاؤوا بعده مثل الذهبي وابن حجر والسبكي، وقبل ذلك مدحه أقرانه وتلامذته كالحاكم وغيره كما نقلناه في مطلب «ثناء العلماء عليه».

أما الحافظ البيكندي إن صح النقل عنه فقد اتهم ابن حبان بالكذب ولم يأت على دعواه بدليل، وهذا لا يُلتفت إليه خاصة إن كان بين الأقران، ودون وجود دليل.

والقاعدة تقول أن من كثُر مادحوه ومزكوه، وندر قادحوه وجارحوه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب طعن هذا في ذاك، فإننا في هذه الحالة لا نعمل بالجرح، بل نأخذ بالعدالة [٢].

وأما قول السليماني عنه، فيُحمل كما حُمل قول الإمام مالك في ابن إسحاق أنه دجال من الدجاجلة [٣]، وكلام الأقران في بعضهم لا يؤخذ خاصة إذا كان مذهبهما مختلفين [٤].

ثم إن السليماني كان معروفا بالحطّ على الكبار حتى قال الذهبي فيه: رأيت للسليماني كتابا فيه حط على كبار، فلا يسمعُ منه ما شذ فيه [٥].

أضف إلى ذلك أن السليماني كان معروفا بأنه من مثبّتة القرن الرابع، وحيثما يصله كلام فيه تأويل لابنِ حبان، يرى هذا الكلام كذبا، فبالتالي صاحبه يكون كذّابا، ووجهه يكون وجه كذاب [٦]!

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٩/١.

(٢) القاعدة ذكرها السبكي في {طبقات الشافعية الكبرى، ٩/٢} وينظر: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٤٣٠/١}.

(٣) ينظر: ابن حبان، الثقات، ٣٨٢/٧، و: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل.

(٤) القاعدة ذكرها السُّبكي في {طبقات الشافعية الكبرى، ٩/٢} وينظر: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٤٣٠/١}.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠٢/١٧.

(٦) ينظر: عداب الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، ٤٣١/١.

ثانيا: رميه بسرقة الحديث:

قال السليماني متحدثا عن ابن حبان: جاءني فكتب مصنّفاتي وروى عن مشايخي، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فمات به [١].

ومن بحث في كتب التراجم وجد أن هذه التهمة يفتقد فيها إلى الدقة، إذ إن السامانيين كانوا ذا حكم في هذه المناطق حينها، وليست القرامطة، حتى قيل إن الذي بنى له الخانكاه [٢] كان الأمير أبو المظفر الساماني [٣].

ثم يقول المتهِم: مات بسجستان، إلا أن أهل التواريخ فيما وجدته قد اتفقُوا على أنه مات ببُست، مكان مولده [٤]، ولهذا نرى أنه لا داعي إلى الإطالة في رد هذا الاتهام.

المطلب الرابع: اتهامه بالعجب والغرور

أصل هذه التهمة هي ما ذكره السليماني عنه أنه كان يقول عند التحديث: يا بني اكتب: محمد ابن حبان إمام الأئمة! يعني أنه يمدح نفسه [٥]!

وهذه التهمة لا تليق بإمامٍ مثل ابن حبان، إذ كيف يكون متكبرا على طلابه وهو الذي روى حديث: «لا يدخل الجنة أحَد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه حبة خردل من إيمان [٦]».

ثم قال في شرح الحديث: أرادَ به جنة عالية يدخُلها غير المتكبرين [٧].

ثم روى حديث: ((الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار [٨])).

(١) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٩/١.

(٢) الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير، والصوفية {مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ٢٧٠/٢٥}.

(٣) ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ١١٤/٥ - ١١٥.

(٤) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٥١/٥٢، و: ابن حجر، لسان الميزان، ٤٩/٧، و: صحيح ابن حبان بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ٢٨/١.

(٥) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٩/١.

(٦) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، باب فرض الإيمان، ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله لا يدخل النار من كان في قلبه أدنى شعبة من شعب الإيمان على سبيل الخلود، ٤٦٠/١، رقم الحديث: ٢٢٤.

(٧) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ٤٩٤/١٢.

(٨) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، باب التواضع والكبر والعجب، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من

ومن تأمل قصة ملازمته لشيخه ابن خزيمة وكتابته عنه [1]، وجد أن هذه التهمة لا أصل لها، وإنما دافعه المنافسة بين الأقران.

وإذا بحثنا في كتب التراجم جميعا، حتى مَن خاصم ابن حبان، لم يجد من وصفه بالعجب والغرور، قال الحاكم: وكان يُحسد لفضله [2]، حتى إن الذهبي حينما انتقده، لم ينتقده بأنه كان معجبا بنفسه، بل أشار إلى ما سماه هفوات وقع فيها ابن حبان [3].

ثم إن كان ابن حبان كذلك، فكنا نجدُ في ترجمته من قبل طلابه مثل الغنجار وابن مندة والحاكم ما يشير إلى هذا ولو ضمنا، لكنا لم نجد.

لزوم التواضع وترك التكبر والتعظيم على عباد الله، ٤٨٦/١٢، رقم الحديث: ٥٦٧١.

(١) ينظر: مبحث شيوخ ابن حبان في هذا البحث، ص: ١٦.

(٢) ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ٤٩/٧.

(٣) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩٨/١٦ - ١٠١.

الخاتمة وأهم النتائج

في ختام هذا البحث، وصل الباحث إلى نتائج، من أهمها:

١ - التهم التي وجهت إلى ابن حبان تنوعت بين طعن في شخصيته، كاتهامه بالكذب، وبين الطعن في عقيدته كقولهم بأنه ادعى أن النبوة مكتسبة.

٢ - إن عددا من هذه التهم إما ضعيفة السند، حيث رويت عن مجهولين، أو باطلة المعنى، إذ يكذبه كلام ابن حبان نفسه، فضلا عن أقوال الأئمة الذين أثنوا عليه بعد وفاته.

٣ - إن الدافع لهذه التهم غالبها كانت الخلاف العقائدي، أو المنافسة العلمية، أو الحسد بين الأقران.

التوصيات:

١ - ضرورة مراجعة التهم والافتراءات التي وجهت إلى العلماء، من حيث السند ودلالة المتن، مع الالتزام بالمنهج العلمي في تحقيق ذلك.

٢ - دراسة عقيدة ابن حبان من خلال مؤلفاته وخاصة صحيحه «التقاسيم والأنواع»، لما يحويه من إشارات تفصيلية إلى منهجه العقدي خصوصا من باب الصفات.

٣ - دراسة أثر المحن على العلماء على نتاجهم العلمي أو على موقفهم من الفرق المخالفة؟

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١.

٢. ابن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٣. ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

٤. أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٥. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية – مصر، ط١، ١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ.

٦. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

٧. أحمد بن محمد ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية – الهند، ط١.

٨. إسماعيل الهروي الأنصاري، ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة، ط١، ١٩٩٦م.

٩. إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر – الجيزة، ط١، ١٩٩٨م.

١٠. إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٣م.

١١. تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية.

١٢. تقي الدين محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام،

تحقيق: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٣. جمال الدين علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٤. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٥، عشر، ٢٠٠٢م.

١٥. السمعاني، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون. مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، ط١، (١٩٦٢م - ١٩٨٢م).

١٦. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٧. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: د. محمد زينح محمد غرب، دار الصحوة للنشر، ط١، ١٩٨٧م.

١٨. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٩. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية – لبنان، ٢٠٠٤م.

٢١. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٢. عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير – بيروت، ط١، ، ١٩٨٩م.

٢٣. عبد العزيز بن عبد الله المبدل، آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها، جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ.

٢٤. عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٧م.

٢٥. عثمان بن عبد الرحمن ابن صلاح الشهرزوري، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٦. عداب محمود الحمش، الإمام ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، كلية الدعوة وأصول الدين، بإشراف أ. د. أحمد محمد نور سيف، سنة ١٤٠٦هـ.

٢٧. عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل بن مأمون الشيحا، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢٨. عز الدين ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر – بيروت، ١٩٨٠م.

٢٩. علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عساكر الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥م.

٣٠. علي بن هبة الله أبو نصر بن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١.

٣١. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٣٢. محمد بن حبان البستي، الثقات، دار المعارف العثمانية - الهند، ط١، ١٩٧٨م.

٣٣. محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٣٤. محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٩٦٥ - ٢٠٠١م.

٣٥. ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر – بيروت.

٣٦. يحيى بن شرف النووي، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٧. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر - دمشق، ط١، ١٩٩٩م.